

عمدة القاري

حتى تخرج من الأرض وتسير فيها وروي أن من أصلها تخرج أربعة أنهار نهران باطنان وهما السلسبيل والكوثر ونهران ظاهران وهما النيل والفرات وعن ابن عباس هي عن يمين العرش وقال ابن قرقول إنها أسفل العرش لا يجاوزها ملك ولا نبي وفي الأثر إليها ينتهي ما يعرج من الأرض وما ينزل من السماء فيفيض منها وقيل ينتهي إليها علم كل ملك مقرب ونبي مرسل وقال كعب وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله وقيل ينتهي إليها أرواح الشهداء وقيل إن روح المؤمن ينتهي به إليها فتصلي عليه هناك الملائكة المقربون قاله ابن سلام في تفسيره قيل قوله E ثم أدخلت الجنة يدل على أن السدرة ليست في الجنة وقال ابن دحية ثم في هذا الحديث في مواضع ليست للترتيب كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا (البلد 71) إنما هي مثل الواو للجمع والإشتراك فهي بذلك خارجة عن أصلها .

قوله حباثل اللؤلؤ كذا وقع لجميع رواة البخاري في هذا الموضوع بالحاء المهملة ثم الموحدة وبعد الألف ياء آخر الحروف ساكنة ثم لام وذكر جماعة منهم أنه تصحيف وإنما هو جنابذ بالجيم والنون وبعد الألف ياء موحدة ثم ذال معجمة كما وقع عند المصنف في أحاديث الأنبياء عليهم السلام ومن رواية ابن المبارك وغيره عن يونس وكذا عند غيره من الأئمة وقال ابن الأثير إن صحت رواية حباثل فيكون أراد به مواضع مرتفعة كحبال الرمل كأنه جمع حباله وحباله جمع حبل على غير قياس وفي رواية الأصيلي عن الزهري دخلت الجنة فرأيت فيها جنابذ من اللؤلؤ وقال ابن قرقول كذا لجميعهم في البخاري حباثل ومن ذهب إلى صحة الرواية قال إن الحباثل القلائد والعقود أو يكون من حبال الرمل أي فيها اللؤلؤ كحبال الرمل وهو جمع حبل وهو الرمل المستطيل أو من الحيلة وهو ضرب من الحلبي معروف وقال صاحب (التلويح) وهذا كله تخيل ضعيف بل هو بلا شك تصحيف من الكاتب والحباثل إنما تكون جمع حباله أو حيلة و الجنابذ جمع جنبذ بضم الجيم وسكون النون وبالموحدة المضمومة وبالذال المعجمة وهو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة والعمامة تقول بفتح الباء والأظهر أنه فارسي معرف قلت هو في لسان العجم كنبذ بضم الكاف الصماء وسكون النون وفتح الباء الموحدة وهي القبة . ذكر إعرابه وما يتعلق بالبيان قوله وأنا بمكة جملة إسمية وقعت حالا قوله ممتلئ حكمة وإيماننا ممتلئ بالجر صفة طست وتذكيره باعتبار الإناء لأن الطست مؤنثة وكلمة من في من ذهب بيانية و حكمة وإيماننا منصوبان على التمييز وجعل الإيمان والحكمة في الإناء وإفراغهما مع أنهما معنيان وهذه صفة الأجسام من أحسن المجازات أو أنه من باب التمثيل أو تمثل له المعاني كما تمثل له أرواح الأنبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها ومعنى

المجاز فيه كأنه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما فسمى ذلك الشيء حكمة وإيماناً لكونه سبباً لهما قوله فعرج بي إلى السماء ويروى فعرج به بضمير الغائب وهو من باب التجريد فكأن النبي جرد من نفسه شخصاً فأشار إليه وفيه وجه آخر وهو أن الراوي نقل كلامه بالمعنى لا بلفظه بعينه وقال بعضهم فيه التفات قلت هو تجريد كما قلنا قوله أرسل إليه بهمزتين أو لهما للاستفهام وهي مفتوحة والثانية همزة التعدي وهي مضمومة وفي رواية الكشميهني أو أرسل إليه بواو مفتوحة بين الهمزتين وهذا السؤال من الملك الذي هو خازن السماء يحتمل وجهين أحدهما الاستعجاب بما أنعم الله عليه من هذا التعظيم والإجلال حتى أصدع إلى السموات والثاني الاستبشار بعروجه إذا كان من البين عندهم أن أحداً من البشر لا يرقى إلى أسباب السماء من غير أن يأذن الله له ويأمر ملائكته بإصعاده وقال بعضهم يحتمل أن يكون خفي عليه أصل إرساله لاشتغاله بعبادته قلت كيف يخفى عليه ذلك لاشتغاله بعبادته وقد قال أولاً من هذا حين قال جبريل إفتح وقال أيضاً هل معك أحد قال جبريل نعم معي محمد وأين الخفاء بعد ذلك وأين الاشتغال بالعبادة في هذا الوقت وهو وقت المحاورة والسؤال وأمر نبوته كان مشهوراً في الملكوت لأنها لا تخفى على خزان السموات وحراسها فصح أن لا يكون السؤال عن أصل الرسالة وإنما كان سؤالاً عن أنه أرسل إليه للعروج والإسراء فحينئذ احتل سؤالهم الوجهين المذكورين .

فإن قلت جاء في رواية شريك أو قد بعث وهذا يؤيد ما قاله هذا القائل قلت معنى أرسل وبعث سواء على أن المعنى ههنا أيضاً أو قد بعث إلى هذا المكان وذلك استعجاب منه واستعظام لأمره قوله علونا السماء الدنيا ضمير الجمع فيه يدل على أنهما كان معهما ملائكة آخرون فكأنهما كلما عد يا سماء تشيعهما الملائكة إلى أن يصلأ إلى سماء أخرى والدنيا